كلمـــات ...

للأستاذ محمد روحي فيصل

الشعراء ثلاثة : شاعر موهوب ينفث من صدره معنى الفاظه ، ويستخرج من لغته الفاظ معناه ! ينحدر الى طبعه عند البيان ، وينطوى على نفسه لينشرها ويجلو المبهم منها ، ويدع العرض العابث ، ويفرز المتداخل المتشابك ، ثم يسجل الخلجة الجميلة أو الخاطر الاصيل وكأنما يلد من لحمه ودمه جنيناً حياً ، يكفله ويحبه ويحرص على ان يكون قوياً نشيطاً صحيحاً ، ويأخذه بألوان من التهذيب والرعاية والنضارة حتى يثمر ويؤاتى أكله . ولئن نصب الشاعر فى الولادة ، وعانى ألم البيان ، فلقد يستمتع بمرأى الوليد النضر الجميل يسعى وينطق ، ثم يكون له اثره القوى فى الوجود ، ونصيبه الموفور من الحياة ، وفضله العميم على الناس .. !!

وشاعر ميت يتصيد اللفظة الشاردة والكلمة المتأبدة والحرف الناشز من بطون المعاجم ، وانتاج الزملاء ، وقديم الشعراء ، وكأنما يتصيد الفريسة الدسمة الفارهة السمينة ! ويلتزم صنعة البديع وحسن التشبيه ودقة المقابلة ورقة الجناس ، وكأنما يلتزم طرائق البيان الخالدة ، ويعلن عن ثقافته البالغة وذوقه الصحيح !

وشاعر مقلس لو اجتمع للرثاء ، واعتزم التعزية والبكاء ، لتصفح المراثى الباكية واحدة واحدة ، ومعنى معنى ، وبيتاً بيتاً ، ثم اختلس هذا ، وشوه هذا ، وحرف ووجه وزاد .. لقد يقتنى المسكين روائع غيره ، ويختبىء وراء نظمه ، وينزل عن شخصيته ، ويسف بكرامته — حباً للذكر والأحدوثة !

قال التاريخ : « عيشاً ينتج شاعر الصنعة وشاعر السرقة »

* * *

الألفاظ ! الألفاظ !

اداة البيان ، ووكر المعنى ، وسر الفن ! والشاعر العبقرى من عرف كيف يزاوج بينها ثم احسن التأليف ، وابدع الموسيقى ، ونشر الجرس ! فانما الشعر لو تدبرت نغم علوى لطيف يهز الأذن ، ويشيع فى القلب ، ويحيا فى النفس ، ويخلد فى الذاكرة ، ويرن فى الخيال . كان اللفظ وما يزال الساحر العجيب الذى يلعب بالأهواء والأعصاب كما يلعب الرتاض بكرة القدم ، ولعلك تذكر فيما تذكر درامة شكسبير فى يوليوس قيصر ، وقوة البيان عند انطوان وبروتس ، وسلطان اللفظ على العامة والرومانيين

* * *

لشد ما يشبه الفنان الأنسان الأول أو الطفل الناشىء ! ينظر الى الدنيا بعين رغيبة ، ويشعر بنفس ظمآنة ، ويفكر بعقل طُلَعَة . ولكنه يمتاز منهما — ازصح له الامتياز — بأنه يجمع الأسباب ، وينظم المنثور ، ويلمح التناسب ، ويتذوق الجمال ! ومهمته الكبرى انما هى على التحقيق الأنحدار الى النفس ينفض غبارها ، ويكشف اتساقها ، وينير زواياها ، ثم يخرجها لغة تهز القلب وتفيد العقل

كذلك العالم فى استقرائه يدرك المجهول ، ويصل العلة بالمعلول ، ثم يضع القاعدة ويعمم القانون . فلو خطا أحد أمامه خطوة أو خطوتين لقدّر القوة ، وراز الشدّة ، وقاس المسافة ، ووزن الكتلة ، وانتهى من هذا كله إلى تقييد الحركة واعلان العمل

العالم والفنان كلاهما ينظر إلى أبعد من أنفه ، ويسبر غور الأشياء . لقد يشتركان فى الذات ، ويتداخلان فى الموضوع ، ثم يختلفان بعد هذا فى الآلة والطريق . . . ! !

* * *

أرأيت إلى الحياة فى مضطربها كيف تبدلها اللمحة ، وتنقلها الملاوة ، وتصبغها العاطفة ، وتخضعها الظروف ؟ ذلك ما يبعث على خلودها وامتدادها وجدّتها وجمالها ، وذلك ماوكل إلى الفن بتصويره . فالحقيقة الفنية تتصل بالمزاج والزمن والموقف ، وهذه كلها أبداً فى تطور مستمر عجيب ، أما الحقيقة العلمية فثابتة على الدهر والأشخاص ، ولئن طرأ عليها تحوير أو هدم فانما يكون لتقريبها من الصحة والدقة والشمول

الدنيا واحدة عند العالم من حيث الجوهر والنظام . ولكنها دُنى كثيرة عند الفنان من حيث الشكل والاحساس

* * *

ما عجبت لأحد من أبناء الفن عجبى لهؤلاء الأدباء الذين يُزْهون بأنفسهم فلا يكتبون إلا لها ، ويمنون بعواطفهم فلا يتحدثون إلا عنها ، وهم لو سئلوا ما بال الجمهور يقرأ آثاركم وينشد

أشعاركم ؟ لقالوا : إنه متطفل يحب أن يسمو بقدره إلى منازل الكتاب والشعراء ، فيستشعر الذي يستشعرون ، ويطوف حيث يطوفون . فالجمهور — مهما دقت نظرته وسمت أهواؤه — طفل لدنٌ ما برح في كل العصور والأقوام يلهو ويعبث !!

أدب هؤلاء الأثرين يغشاه في أغلب الأحيان غموض ، وتطل عليه فوضى ، ثم لا يصح معه مقياس من المقاييس الأدبية المعروفة ، وكيف تستطيع أن تقدره وتحكم له أو عليه مادمت لا تفهمه ولا تتذوقه ؟ إنما ينبغي للكتاب والشعراء أن يقطفوا من النفس والحياة ما يشترك في فهمه الناس جميعاً ، أو الكثرة الغالبة من الناس ، أو الطبقة النيرة منهم . ولئن صادف ألاَّ يكون هذا ولا هذا فهو إلى السخف والهذيان أدنى وأقرب . . .

* * *

غاية الفن أن يجلو النفوس ويهز الشعور ، النفوسَ بأسرها والشعورَ على تلونه ، شريطة أن تكون نفسنا وشعورنا في البداءة !

* * *

الكلمة الواحدة تدخل في رأسين اثنين ، فتحمل إلى هذا النشوة والسلام ، وتحمل إلى ذاك الفتنة والآلام !

* * *

كل امرىء وإن ثار متصل بالمجتمع ، مدنى بالطبع . وهذه الوشائج القوية المبهمة التي تربطه بالانسانية تؤثر فيه ويؤثر فيها ، قد لا يلمحها أوساط الناس وطغامهم ، وإنما تلمحها طائفة رفيعة خصها الله بسلامة الفكر ، وحسن البصر ، وقوة التصور ، وهبة التصوير

* * *

قد يجيش صدر الأديب بالمعاني حتى ما يستطيع أن يحتملها ، وقد ينضب حتى كأنه بلقع قفر . فحياته أبداً في نُقلة وتناقض واضطراب ، ما أشبهه بأسفنجة رخوة لدنة تمتلىء حيناً وتفرغ حيناً ! فكل ما خرج على لسانه قد تمثله من قبل ووعاه خياله ، قاعدته في البيان : « خذْ وأعط »

* * *

قال سنت بوف : نصيحتي إلى أدباء الشباب ألاَّ يقلدوا من يعجبون بهم من أعلام البيان ورجال الفن ، فذلك يميت نفوسهم ويشوه شخصيتهم ، وإنما يتذوقون آثارهم فحسب ، ثم يصورون حياتهم الخاصة كما صوروها في صدق وغير تكلف ، وليكن لهم مثل أعلى يوجه انتاجهم ويصحح مقاييسهم ويهذب أهواءهم ، ولا غضاضة عليهم — وهم ينشئون في لغتهم الصحيحة متأثرين بالمحيط والبيئة يستمدون منهما الوحي والقوة — أن يتساءلوا من حين لآخر ، وجباههم مرفوعة إلى السماء ، وعيونهم شاخصة إلى الأموات الأحياء : « تُرى ماذا يقال فينا ! »

* * *

تستهل الحياة الأدبية عملَها في الفرد والأمة بالشعر ، وتدرج على الشعور ، ثم تستشرف للتفكير ، وتنتهي إلى النثر . ويكاد هذا يكون قانوناً لا يقبل استثناء ، فلقد تذكو العاطفة فينطلق الكلام شعراً منظوماً ، ويخبو الوجدان فينمو العقل ويستفيض النثر ! وهنا السر كل السر في مناعة الشعر الصادق الرفيع ، ونُدرة النابغين فيه من المعاصرين

* * *

القارىء — هذه قصيدة قدسية قد فرغتُ من تلاوتها منذ حين . ما أصدقها وما أنور معانيها ! إنها الحقيقة بأطارها وإشراقها ! لا ، إنها قطعة من حياتي ! لا لا ، إنها مصدر حياتي ! ويح نفسي كم أحب أن أعلن هذا للشاعر . . .

المرأة — حذار حين تلقاه ألاَّ تهمس في مسمعيه ما تريد ، وحذار أن يجمد خاطرك ويحتبس لسانك وتنكمش طبيعتك ! إنما الشاعر خطيب لسين قد وقف إلى الراديو يرسل معانيه الطلقة كأشعة رفافة تنطلق في الفضاء وتتوزع على الأرض ، ما يرى جمهوراً صاغياً مشجعاً ولا خيالاً للجمهور ، ولكن حياة صامتة هادئة تأخذ السبل وتملأ العيون ! أرأيتَ إلى الحياة الصامتة الهادئة كيف تكون جافة ملولة إذا لم يتخللها الفينة بعد الفينة صراخ النقد أو هتاف الاستحسان ! لقد يطل من كوة الفضاء صدى جميل تبرق له أسارير الشاعر ، وينطلق بيانه ، وتخصب عبقريته ، ويسمو انتاجه ، ثم يعلم أن معانيه التي أرسلها شعاعاً قد لامست حياً يسعى ، وحسب الفنان هذا من غاية وراحة ! !

القارىء — أنا متصل ياعزيزتي اتصالاً وثيقاً بكبار الكتاب وسادة الفن ، أما « ع » في الشعراء فقد تلابسنيه اليوم واليومين

وتجلسين اليه طويلاً ، وتتحدثين اليه ما شئت أن تتحدثى ، فما يبرح فى حضرتك جامداً بكىّ اللسان ، سخيفاً إذا ارتأى ، مضحكاً إذا أشار ، ينشر عليك اضطراباً من رأيه ودمامة من وجهه ووساخة من ملبسه ! ولكن ما يكاد يرجع إلى نفسه ويغلق أبواب غرفته ، ويستوحى شيطان شعره حتى ينقلب مبيناً محدثا حلواً رائعا فى رأى البصر ورأى البصيرة . لشدّ ما أسكرتنى أشعاره وهزتنى موسيقاه ! فنصيحتى إليك ألا تقربى عظماء الرجال ، أو تدخلى بيوتهم وتعيشى فى ظلهم ، ولكن اعشقيهم إن شئت عن بُعد ، وكونى معهم على غير اتصال !

المرأة — دع «عيناً» هذا فما أحب أن نتحدث فيمن غبرَ من الأحياء . إنما الأموات خيوط عريضة قوية تنسج مادة الماضى وتقوّم أحداث التاريخ ، وتؤلف وحدة الأمة ! هذا ابن أبى ربيعة الكبير كان يدلف إلى الكواعب الحسان فى فحمة الليل ، وغفوة الناس ، وغفلة الحراس ، فيقضى لبانته منهن كما شاء الهوى والشباب ، ثم يلاق ناقته فى العراء ، ويغيب فى مطاوى الزمن ! ومثله فى اجتلاء الجمال جوت وبودلير ولامرتين يسبحون جاهدين فى بحر الوجود ، لا يستشرفون إلى شاطىء من شطآنه ، ولا تريحهم موجة من أمواجه . . .

القارئ — هم يسبحون ؟ لا ، إنهم أوعية يملؤها الزمان ويختبىء فيها

المرأة — ثق أن الفنان يعطى أكثر مما يأخذ ، ويعمل أكثر مما يجب ، ويهب أكثر مما يدع

القارئ — ماذا تعنين ؟

المرأة — أعنى أنك مخطىء حين تجل الفن وتجعله تاجاً جميلا على رأس الأنسانية . فالفنان كالممثل يصور معالم الحقيقة ، ومواضعات الناس ، واضطراب الحياة فهو كما ترى « ناقل » لا « مخترع » . هو نفس فى النفوس ، ورجل كالرجال

القارئ — هل دريت ان حفيد الشاعر المشهور « ج » قدمات على أسوإ ما يموت البؤساء من الفقر والوحدة والنكران ؟ انا أرى الا يعقب الفنان ذرية تعيش من بعده ، وتسعى خلف نعشه ، وانما يقوم بعمله الفني أغرب وحيدا فى ذاكرة التاريخ

المرأة — أنا لست أرى هذا ، فالفنان حلقة فى سلسلة الأنسانية ما ينبغى أن يكون آخرها وقاطعها ، فلينحدر منه الناس كما انحدر هو من الناس ، فأما البؤس فكما يصيب الفنان قد يصيب غيره . . !!

بيروت

محمد روحى فيصل

لجنة التأليف والترجمة والنشر

السلسلة الفلسفية

اعتزمت لجنة التأليف والترجمة والنشر اخراج سلسلة فلسفية تقدم للقراء تاريخ الفلسفة فى مختلف عصورها من فلسفة يونانية واسلامية وحديثة ، كما تقدم لهم خلاصة للمذاهب الفلسفية ، وتراجم مشاهير الفلاسفة بأسلوب سهل

وسيشرف على هذا العمل الأستاذ (أحمد أمين) — وستخرج السلسلة فى فترات متعاقبة — وهذا بيان بالمجموعة الأولى منها :

« ما ظهر »

(١) مبادئ الفلسفة — تأليف ا . س . راپوپورت وترجمة الأستاذ أحمد أمين

(٢) قصة الفلسفة اليونانية — تصنيف الأستاذين : أحمد أمين وزكى نجيب محمود

« ما يعد للطبع »

(٣) تاريخ الفلسفة الاسلامية — تأليف الأستاذ بوور ، وترجمة الأستاذ محمد عبد الهادى أبو ريدة ، وتعليق الأستاذ مصطفى عبد الرازق

(٤) قصة الفلسفة الحديثة — تصنيف الأستاذين : أحمد أمين وزكى نجيب محمود

(٥) ديكارت — تأليف الدكتور طه حسين

(٦) الفارابى — تأليف الأستاذ عباس محمود

(٧) ابن سينا — تأليف الأستاذ محمد ثابت الفندى

(٨) تاريخ الفلسفة اليونانية — للأستاذ يوسف كرم

(٩) مذهب المنفعة — لجون ستورت مل ، وترجمة المرحوم محمد عاطف باشا بركات وأحمد أمين

(١٠) البراجماتزم — تصنيف الأستاذ يعقوب فام